إستدراك هام

إخوتي في محبة كتاب الله تعالى ، إنَّ كتاب ابن عمر الجنزوري لتحديد المعنى الإصطلاحي لكلمة الظن في القرآن الكريم كان الهدف مخاطبة جميع المسلمين ، وفي مقدمتهم المتخصصين من علماء الدين وأساتذة علم التفسير .

ولأنَّ القول في أي أمر من أمور الدين له خطورته وشأنه العظيم ، فإنَّ علماء الدين لايقبلون غير ما إعتادوا عليه وألفوه .

إلاَّ إذا كان مدعوماً بأشد ما يكون من الأدلة والبراهين ، خاصَّةً إذا كان الذي يقدم لهم هذا الجديد ليس من زمرتهم ، بأن يكون مهندس مثلي. ذلك الذي ألزمني بتقديم الكثير من الأدلة التي تؤيد ما أقول به ، مما إضطرني رغماً عني إلى زيادة صفحات الكتاب.

إخوتي وأحبتي ، أعتذر لكم على تأخري في صياغة موجز لهذا الكتاب ، يُمكِّن القارئ له من الإحاطة بالمعنى الإصطلاحي للظن في القرآن الكريم ، بالقدر الذي لاغنى عنه لأى مسلم ، يحرص على معرفة مراد الله تعالى في الآيات الكريمة التي بها كلمة الظن .

أمَّا إذا كان القارئ الكريم يُريد أن يكون على بصيرة بالمراد البلاغي للقرآن الكريم ، من إستعماله للصيغ الخمسة لكلمة الظن .

فعليه بقراءة الكتاب السابق ذكره كاملاً ، وبمشيئة الله تعالى سيجد من الدراسة والتحليل الموضوعي ما يُرضيه .

[الموجز]

القرآن الكريم إستعمل خمسة صيغ لكلمة الظن ، على غير ما إعتاد أهل اللغة ، ليحقق بها مرادات بلاغية متعددة .

وذلك الإستعمال الخاص من القرآن الكريم لكلمة الظن ، له ما يُماثله مع الأحرف والكلمات .

وعلى سبيل المثال :

- إستعمل القرآن الكريم حرف [قد] ليفيد التحقيق والتأكيد دائماً ، سواء كان مع الفعل الماضي أو الفعل الحاضر .

في حين أنَّ علماء اللغة لا يستعملون حرف [قد] مع الفعل المضارع ، إذا أرادوا التأكيد .

في حين بلغ إستعمال القرآن الكريم لحرف [قد] مع الفعل المضارع بهدف التحقيق ثماني مواضع ، ومنها على سبيل المثال :

﴿ **قَدْ نَرَىٰ** تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ ..... ﴾ (١٤٤) البقرة

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي **وَقَدْ تَعْلَمُونَ** أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ..... (٥) ﴾ الصف

- إستعمل القرآن الكريم حرف [ما] الموصولة ، ليس فقط للدلالة على غير العاقل [كما هو المألوف] ، وإنَّما للدلالة على العاقل .

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٥٣) يوسف

﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [(٣) – (٥)] الكافرون

- وكذلك إستعمل حرف [ما] الموصولة ، للدلالة على العاقل وغير العاقل مجتمعين ، كما في قول الله تعالى :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) الحديد

- إستعمل القرآن الكريم كلمة القلب ، للدلالة على ذلك العضو الأثيري داخل الصدر ، والذي هو محل الإعتقاد واليقين .

إنَّ من أمراض القلب الذي يعنيه القرآن الكريم ، الغفلة والقسوة والنفاق والشرك ، لذلك فلا يُعالج بالجراحة أو العقاقير.

كذلك فإنَّ القلب الذي يعنيه القرآن الكريم ، يُخالف تماماً ما يعنيه الشباب من الجنسين في العلاقة بينهما .

بذلك نخلص إلى أنَّ المراد من إستعمال القرآن الكريم لكلمة القلب يُخالف تماماً ما يعنيه الأطباء ، وكذلك ما يعنيه عامة الناس .

بذلك يتبيَّن لنا ، أنَّ القرآن الكريم كتاب عزيز ، له إستعماله الخاص للأحرف والكلمات ، ومن ذلك كلمة الظن .

أخي الكريم ، أحمد الله تعالى على أن هداني إلى منطوق ضابط ابن عمر الجنزوري .

والذي يعتمد على أيسر الشروط لمعرفة المعنى المراد من كلمة الظن ، حيث أنَّه يعتمد أساساً على كون كلمة الظن إسمية أم فعلية .

✸ **إذا كانت الكلمة إسمية ومعرَّفة بأداة التعريف [الظَّنَّ] .**

فإنَّها تعني الشك والباطل .

وعددها [١٠] كلمات فقط لاغير ، في إجمالي القرآن الكريم .

✸ **كل كلمات الظن [عدا المعرفة بأداة التعريف] سواء كانت إسمية أم فعلية .**

فإنَّها تعني الإعتقاد واليقين ، ولا تعني الشك أبداً .

وعددها [٥٩] كلمة ، وهي كل ما تبقى من جميع كلمات الظن في القرآن الكريم .

بذلك الشرط السهل البسيط ، نكون قد علمنا المراد من كلمة الظن ، أهو الشك أم اليقين .

أخي الكريم ، إنَّ سبب تسمية هذا الضابط بابن عمر .

هو أنَّ المرحومة والدتي كانت من شدة حرصها على أن لا أميل إلى ما يهواه الشباب في سن المراهقة .

وأن ألتزم بمكارم الأخلاق ، فكانت دوماً تُذكرني بأنَّها ما سمَّتني عبد الله ، إلاَّ رجاء أن أتخلق بخلق عبد الله ابن عمر ابن الخطاب .

فمن باب البر بها بعد وفاتها ، سمَّيت أوَّل عمل لي في خدمة كتاب الله تعالى [وهو هذا الضابط] ، بضابط ابن عمر الجنزوري .

وذلك حتى يكون لها نصيب من الذكر بعد وفاتها ، وذلك لأنَّ من يسأل عن السبب في هذه التسمية ، يعلم من هذا الكتاب أنَّ أُمي كانت تُذكرني دوماً بطاعة الله تعالى ومحبته ، والتأسي بعبد الله ابن عمر ، فيدعو لها بالخير .

ثم إني لأرجو أن تكون هذه التسمية دافعاً لجميع قراء هذا الكتاب ، للمزيد من بر الوالدين في حياتهم وبعد مماتهم .

أخي الكريم ، إنَّ مجرد معرفة المراد من كلمة الظن ، أهو الشك أم اليقين ؟. كان أُمنية كل العلماء الذين وضعوا الضوابط السابقة .

ومن هؤلاء الإمام الضحاك والإمام مجاهد ، وهما من التابعين .ثم إنَّ آخر العلماء الذين وضعوا ضابطاً للظن ، هو الإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي المصري [تُوفِّي عام ٧٩٤هـ] . فالحمد لله تعالى حمداً كثيراً على عظيم فضله وإحسانه .

ثم إنَّ الله تعالى قد منَّ علينا بما هو أهم من مجرد معرفة المعنى المراد من كلمة الظن [أهو الشك ، أم اليقين] .

وهو إدراك الحكمة البلاغية المرادة من إستعمال القرآن الكريم لكلمة الظن بصيغها المختلفة ، وذلك حتى ننفي تماماً أي وسوسة تعرض للمسلم من الشيطان ، تدفعه إلى أن يتساءل : أليس كان من الأيسر أن يستعمل القرآن الكريم فعل [أيقن] أو فعل [علم] ليفيد الدلالة الواضحة التي لالبس فيها .بدلاً من إستعماله فعل [ظنَّ] ، والذي إختلف في تأويله العلماء المتخصصون .

فمنهم من أوَّل فعل الظن باليقين ، ومنهم من أوَّله بما هو دون اليقين ، مما تسبب في حالة من الحيرة لدى القارئين لهذه التفاسير .

وكانت هذه الحالة تدفعني إلى دوام الدعاء إلى الله تعالى بإلحاح شديد ، لأن يهديني إلى الحكمة من إستعمال القرآن الحكيم لفعل الظن دون غيره من الأفعال ، فأجاب الله تعالى دعائي ، وهداني إلى هذا الضابط . والحمد لله تعالى رب العالمين .

وهذه هى الفائدة الأهم ، لضابط ابن عمر الجنزوري ، وهى التأكيد على الحق الذي لامرية فيه .

ألا وهو ، أنَّ القرآن الكريم كتاب عزيز لايُستدرك أبداً .

وبالطبع ذلك معلوم للجميع ، فنحن جميعاً نوقن ونؤمن بأنَّ كتاب الله تعالى في غناً عن أن يدافع عنه أى كائن من كان .

فَحَسْبُ هذا الكتاب الحكيم ، أنَّه قول الله تعالى الخالق العظيم ، خالق اللغة وخالق المتكلمين بها .

إلاَّ أنَّ التأكيد على ذلك بالدراسة والتحليل ، أمر واجب ومطلوب ، وذلك أدنى ألاَّ ترتاب بعض القلوب .

أخي الكريم ، القرآن الكريم حقق أعلى المرادات البلاغية بإستعماله لكلمة الظن في خمسة صيغ [إثنتان فعلية ، وثلاثة إسمية]

وإليك الشكل الأوَّل لضابط ابن عمر الجنزوري ، على أساس تقسيم كلمة الظن من ظاهر اللفظ [إسمية أم فعلية] .

[١] ضابط ابن عمر الجنزوري لكلمات الظن [الإسمية والفعلية]

❋ **كلمات الظن الإسمية ، وعددها في القرآن الكريم [٢١] كلمة ، وتشمل :**

* **إسم الظن المعرَّف بأداة التعريف (الظَّنَّ) ، ورد [١٠] مرات .**

ويعني دائماً : ما ليس بالحق ،كالشك ، والحسبان ، والتوهم ، والتهمة ، والتخيل والبهتان ، والقول الكذب .

* **إسم الظن المعرَّف بالإضافة ، (ظَنُّ) ، ورد [٩] مرات .**

ويعني : إعتقاد ويقين المضاف إليه [سواء كان يعني الحق أو الباطل].

* **إسم المصدر للظن [المفعول المطلق] (ظنَّاً) ، ورد مرتان فقط.**

ويعني : أشد الإعتقاد وأقوى اليقين بالباطل .

❋ **كلمات الظن الفعلية ، وعددها في القرآن الكريم [٤٨] كلمة ، وتشمل :**

* **فعل الظن المتبوع بمظنون ، ورد [٤٦] مرة .**

وهو يعني : أعلى درجات اليقين والإعتقاد الجازم في المظنون به [سواء كان يعني الحق أو الباطل] .

* **فعل الظن الغير متبوع بمظنون ، ورد مرتان فقط .**

وهو يعني : اليقين والإعتقاد في ما ليس بالحق تحديداً ،[أى اليقين بالباطل] .

لأنَّ الحذف يُفيد الدلالة على أنَّ المظنون به هو الظَّنَّ ذاته ، وحيث أنَّ الظَّنَّ يعني ما ليس بالحق .

فإنَّ فعل الظَّن الغير متبوع بمظنون يعني إعتقاد الباطل .

وإليك أخي الكريم ، الشكل الثاني لمنطوق الضابط ، على أساس تقسيم كلمة الظن حسب المعنى البلاغي المراد من إستعمال القرآن الكريم لها . ذلك بمعنى : هل يُراد من إستعمالها الدلالة على الشك ، أم يُراد الدلالة على الإعتقاد واليقين .

[٢] ضابط ابن عمر الجنزوري لكلمات الظن [حسب المعنى المراد من إستعمالها]

القسم الأول

كلمة الظن يُراد من إستعمالها الدلالة على كل ما ليس بالحق

مثل الشك والبهتان والتوهم والقول الكذب

كلمة الظن في هذه الحالة ، هى الإسم المعرف بأداة التعريف [الظَّنَّ] وعدد ما ورد منها في القرآن الكريم [١٠] كلمات فقط

القسم الثانى

كلمة الظن يُراد من إستعمالها الإعتقاد واليقين ، وعددها [٥٩] كلمة

وتنقسم كلمات الظن التي تعني اليقين إلى فرعين

❋ **الفرع الأول : الكلمات التي تعني اليقين [سواء بالحق أو بالباطل] وعددها [٥٥] كلمة :**

- **[١] جميع صور وأشكال الصيغة الفعلية للظن ، والمتبوعة بمظنون ، وعددها [٤٦] كلمة .**

وتعني أعلى درجات الإعتقاد واليقين في المظنون به ، سواء كان هذا المظنون حقاً أم باطلاً .

- **[٢] إسم الظن المعرف بالإضافة ، وعدده [٩] كلمات .**

ويعني إعتقاد ويقين المضاف إليه ، سواء كان بالباطل أم بالحق .

❋ **الفرع الثاني : الكلمات التي تعني الإعتقاد واليقين بالباطل [تحديداً] ، وعددها [٤] كلمات فقط ، وتشمل :**

- **[١] فعل الظن الغير متبوع بمظنون [يظنون] ورد مرتان فقط.**

وهو يعني إعتقاد الباطل [تحديداً] ، لأنَّ حذف المظنون يفيد الدلالة على أنَّ المظنون به هو الظَّنُّ ذاته .

وبما أنَّ الظَّنَّ يعني ما ليس بالحق ، فإنَّ فعل الظن الغير متبوع بمظنون يفيد إعتقاد الباطل .

- **[٢] إسم المصدر [ظَنّاً] ورد مرتان فقط .**

وهو يعني أشد ما يكون اليقين بما ليس بالحق ، لأنَّ المفعول المطلق يفيد التأكيد على ما يعنيه فعل الظن .

ولأنَّ فعل الظن يعني إعتقاد ما ليس بالحق ، وذلك لحذف المظنون به .

فيصير المعنى المراد من إسم المصدر [ظَنّاً] هو : أشد الإعتقاد وأقوى اليقين بالباطل .

أخي الكريم ، مما سبق تبيَّن لنا كيف أنَّ القرآن الكريم إستعمل كلمة الظن في خمسة صيغ مختلفة ، ليحقق مرادات بلاغية متعددة .

وحتى نطمئن لما يقول به ضابط ابن عمر الجنزوري ، فلابد من التأكيد على ذلك بأمثلة من الآيات القرآنية الكريمة .

وتجنباً للإطالة ، فسوف أقدم لك أمثلة بسيطة ، لكل صيغة من هذه الصيغ الخمسة .

أولاً : الصيغة الإسمية المعرفة بأداة التعريف [الظَّنَّ] ، وردت [١٠] مرات .

وهى الصيغة الوحيدة من جميع الصيغ الخمسة لكلمات الظن ، التي تعني الباطل وكل ما هو ليس بالحق ، وكمثال لذلك :

❋ قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) ﴾ الحجرات

الآية الكريمة ظاهرة الدلالة على أنَّ كلمة [الظَّنَّ] يُراد بها الإثم ، والشك والكذب والبهتان ، وكل ما ليس بالحق .

ثانياً : الصيغة الفعلية لكلمة الظن والمتبوعة بمظنون ، وعددها [٤٦] .

وهى حسب ضابط ابن عمر تعني أشد اليقين والإعتقاد بالمظنون به ، وعددها [٤٦] كلمة ، وكمثال لذلك :

❋ [١] قال الله تعالى :

﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) ﴾ البقرة

المفسرون قالوا : إنَّ الظن هنا يعني العلم واليقين ، وإليك أخي الكريم التحليل الآتي ، حتى تحكم بما تراه الصواب .

إنَّ الذين خرجوا مع طالوت لقتال عدوهم ، هم القليل من الذين طالبوا نبيهم بأن يبعث لهم ملكاً يُقاتلون معه في سبيل الله تعالى .

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) ﴾ البقرة

ثم إنَّ هذا القليل فُتن أغلبهم بالنهر ، ولم يظل منهم مع طالوت إلاَّ القليل !

فصاروا حينئذ القليل من القليل من الذين طلبوا القتال في سبيل الله تعالى .

ثم إنَّ هذا القليل من القليل ، عندما رأوا جالوت وجنوده فزعوا وتراجعوا إلاَّ فئةً قليلةً منهم !!!

أرأيت أخي الكريم ، كيف يكون اليقين عند هؤلاء النفر ؟

الذين هم القليل من القليل من القليل الذين طالبوا نبيهم بأن يُقاتلوا في سبيل الله تعالى .

الله تعالى علم أنَّ هذه الفئة تميَّزت بمستوى عالٍ للغاية من اليقين .

لايكفي لوصفه القول بأنَّهم [بالآخرة هم يوقنون] .كما في الآيات الكريمة [(٤) البقرة & (٣) النمل & (٤) لقمان] .

لذلك إنتقى لهم القرآن الحكيم ، ما يصف حقيقة اليقين الذي يملأ قلوبهم .فقال الله تعالى : [الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ] .

ولتأكيد صحة ما أقول به ، أضرب لك مثلاً في غاية الوضوح والدلالة . أنت توقن بلقاء الله تعالى . ما في ذلك من شك .

وأنا مثلك أوقن بلقاء الله تعالى [اللَّهم ثبت يقيننا] . ولكن هل يقيني ويقينك مثل يقين أبو بكر ، رضي الله تعالى عنه ؟!

بالطبع لا ، ولا ألوف الألوف أمثالنا من المسلمين تقترب من ذلك اليقين .

فلو أني وصفتك بأنك تُوقن بلقاء الله تعالى ، فبماذا أصف يقين أبابكر رضي الله تعالى عنه ؟؟؟

فلابد لي من أن أقول إنَّ أبا بكر يُوقن أشد أشد أشد .....أشد ما يكون اليقين بلقاء الله تعالى .

ما سبق ، كان مثال لتقريب المعنى الذي أريده ، وهو أنَّ القرآن الكريم إستعمل فعل الظن ليُغني عن العديد من العبارات .

أرأيت كيف أنَّ فعل الظن في إستعمال القرآن الكريم ، قد حقق مرادات بلاغية عالية يعجز تماماً عنها أى فعل غيره !

إنَّ التوصل إلى ضابط يُحدد فقط المعنى المراد من كلمة الظن ، كان أُمنية يسعى إليها كل علماء التفسير ، ولم يدركوها حتى الآن .

وبفضل الله تعالى ، فإنَّ ضابط ابن عمر الجنزوري حقق هذه الأمنية ، وزاد عليها ما هو أهم منها .

وهو إبطال أى وسوسة من الشيطان تجعلك تتساءل عن السبب في عدم إستعمال فعل [يؤمنون] أو فعل [يوقنون] بدلاً من فعل [يظنون] . وذلك لأنَّ إقتناع العقل بالتحليل العلمي[كما بيَّنا سابقاً]، يزيد القلب إطمئناناً إلى الحكمة العالية من إستعمال القرآن الحكيم لفعل الظن دون غيره من الأفعال .ونحن جميعاً بفضل الله تعالى نوقن أشد ما يكون اليقين بأنَّ كل ما ورد في كتاب الله تعالى له حكمته البالغة ، سواء أدركنا ذلك أو لم ندرك ، لكن إذا أتاح الله تعالى لنا سبيلاً إلى زيادة هذا اليقين الفطري بالإقتناع العقلي. فإنَّ قلوبنا تزداد إطمئناناً ويقيناً ، علاوة على ما هى عليه من اليقين الفطري الذي أودعه الله تعالى في قلوبنا فضلاً منه وإحساناً .

[٢] قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١) ﴾ الأعراف

قال بعض المفسرين : إنَّ الظن يُراد به العلم واليقين ، لكن البعض الآخر أعاد كتابة فعل الظن كما هو دون تأويل صريح لما يعنيه.

وإليك أخي الكريم التحليل الآتي لتحكم بنفسك .

يا أخي الكريم ، لو إفترضنا أنَّك رأيت جبلاً أمامك يتحرك ، فلن تملك إلاَّ أن تطلق لساقيك العنان فراراً ، يملؤك الرعب والفزع .

فإذا كانت حركة الجبل نحوك ، أو في إتجاهك [لاقدَّر الله تعالى] ، فذلك أمر لا يُمكن وصفه أو التعبير عنه مطلقاً .

يا أخي الكريم ، لقد صُعق موسى عليه السلام من رؤيته للجبل ينهار أمامه ، فما بالك بالجبل فوقك !!!!!!

إنَّ الآية الكريمة واضحة الدلالة على أنَّ الله تعالى نتق الجبل ، حتى صار فوق رؤسهم كالمظلة يُغطيهم جميعاً .

أرأيت كيف يكون حالهم حينئذ ؟!!!

إنَّهم من شدة فزعهم من الجبل ، خروا ساجدين لله تعالى ، لكنهم من شدة يقينهم بأنَّ الجبل لامحالة ساقط عليهم أمالوا رؤسهم .

فسجدوا على الحاجب الأيسر فقط ، لكى يرقبوا الجبل المحيط بهم من فوقهم ، أيقع عليهم ؟ أم أن الله تعالى سيصرفه عنهم .

إنَّ خوفهم من وقوع الجبل فوقهم ، كان أشد من خوفهم من الذي نتق الجبل فوقهم .

إنَّهم اليهود ! وما أدراك ما اليهود !

لقد أيقنوا أشد أشد أشد ما يكون اليقين بأنَّ الجبل واقع بهم ، ولولا ذلك اليقين ما قبلوا أن يأخذوا ما آتاهم الله تعالى في التوراة .

هذه الدرجة العالية جداً من اليقين ، عبَّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾

أرأيت كيف الحكمة من إستعمال القرآن الكريم لفعل الظن ، حتى يُحقق مرادات بلاغية ، ما كانت لتكون من غيره من الأفعال .

❁ [٣] قال الله تعالى :

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) ﴾ القيامة

قال المفسرون : إنَّ الظن هنا يعني اليقين ، ولكن بالتحليل سوف يتبيَّن لنا إن شاء الله تعالى ، أنَّه يعني حق اليقين .

بحضور ملائكة الموت ، تبدأ عملية مفارقة الروح للجسد ، فتبدأ من أطراف أصابع الأقدام متجهةً إلى أعلى الساقين ، وهكذا ... طوال هذه المرحلة فإنَّ الأهل يطلبون الراقي رجاء الشفاء ، أمَّا المتوفَّى نفسه فإنَّه يُبصر مفارقة الروح لجسده عين اليقين .

وإذا لم يكن من الصالحين ، فإنَّه يطلب الرجوع إلى الدنيا ليستدرك ما فاته ، لأنه ما يزال يأمل في ألاَّ تتم عملية المفارقة .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا (١٠٠) ﴾

ولكن ببلوغ مفارقة الروح للجسد موقع أعلى الصدر [كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦)] ، فإنَّ القلب يكون قد توقف تماماً .

وحينئذ يستصرخ الأهل أى راقٍ بذلاً منهم لآخر ما يستطيعونه نحو صاحبهم المحتضر [وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧)]

أمَّا المتوفَّى نفسه ، فيكون قد أيقن حق اليقين أنَّه الفراق [وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨)] ، وألاَّ رجعة للدنيا مطلقاً .

أرأيت ، كيف أنَّ القرآن الكريم إستعمل فعل الظن ، ليس فقط للدلالة على علم اليقين ، أو ما هو أعلى منه ، وهو عين اليقين .

بل إنَّه إستعمله للدلالة على حق اليقين .

❁ [٤] قال الله تعالى :

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) ﴾ ص

قال المفسرون : الظن يعني العلم واليقين ، لكنهم جميعاً أوَّلوا الركوع بأنَّه يعني السجود .

أخي الكريم ، في الصلاة [سواء المكتوبة أو النافلة] ، الركوع شرعاً ليس هو السجود ولا العكس ، ولايحل أحدهما مكان الآخر .

قال الله تعالى : ﴿ .....تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ ..... (٢٩) ﴾ الفتح

الآية القرآنية الكريمة ظاهرة الدلالة على أنَّ الركوع غير السجود ، كما أنَّه لايمكن أن يدل أحدهما على الآخر .

كما أنَّه من المعلوم أنَّ فعل الخرور يناسب السجود وليس الركوع ، فلماذا إستعمل القرآن الحكيم فعل [خرَّ] مع الركوع ؟

بالطبع لابد أن يكون ذلك لحكمة عالية [فذلك دوماً شأن القرآن الكريم]، وهذا ما سوف نبينه بعون الله تعالى .

ياأخي الكريم ، الخرور دائماً يعني السقوط بسرعة من أعلى إلى أسفل ، قال الله تعالى في سورة النحل

﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ .....(٢٦) ﴾

ذلك مع الجمادات ، أمَّا مع الإنسان ، فالله تعالى يقول :

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩) ﴾ الإسراء

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ﴾ مريم

الآيات الكريمة تفيد أنَّ السجود خروراً يكون مصحوباً بالبكاء ، مما يُؤكد الدلالة على شدة وقوة الإنفعال القلبي للذي يخر ساجداً.

إنَّ العبارة القرآنية الكريمة [وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ] هى أظهر دليل على أنَّ فعل الظن [وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ] يعني أقوى وأشد ما يكون اليقين والإعتقاد لدى داوود عليه السلام في أنَّه قد فُتن ، وإلاَّ لما كان تعجَّل في إندفاعه إلى الأرض ليخر ساجداً .

حيث أنَّ ذلك الإندفاع الشديد هو الذي حال بينه وبين أن يُفسح لرأسه مكاناً على أرض المحراب الذي ضاق بالخصمان داخله .

فصار السجود ركوعاً !!!

أرأيت أخي الكريم ، كيف أنَّ هذه العبارة القرآنية الكريمة [وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ] قد بيَّنت لنا الحكمة العالية المرادة من القرآن الكريم :

* في إستعماله لفعل الظن ، بما يُفيد الدلالة على أعلى وأشد درجات اليقين والإعتقاد .
* في إستعماله لفعل الخرور مع الركوع [السجود الذي لم يكتمل] ، ليحقق أشد ما يكون الإيجاز البليغ ، بعدم ذكره تفصيلاً السبب في عدم إتمام السجود لضيق المحراب بالخصمان داخله ، فأتاح لنا متعة تذوق هذا الإيجاز البليغ .

❁ [٥] قال الله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧)
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨) ﴾ فصلت

أغلب المفسرين أوَّلوا فعل الظن بأنَّه يعني العلم واليقين .

المحيص : هو إسم مكان [مهرب] من فعل حاص يحيص .ولبيان مراد القرآن الكريم من فعل الظن في الآية الكريمة (٤٨) فصلت فلابد من أن نقرأ قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ.....(٧٣) ﴾ الزمر

وقوله تعالى : ﴿ .....فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ.....(١٨٥) ﴾ آل عمران .

الآيات الكريمة واضحة الدلالة على أنَّ النفس البشرية لا سلطان لها على أبعاض جسدها ، والسلطان كله لله تعالى الملك الحق .

فلو إفترضنا [جدلاً] وقوع الباطل وما هو ليس بالحق ، في أنَّه يُوجد مهرب من النَّار .

فلن يستطيع أبداً أى مشرك أن تتحرك قدماه قيد أُنملة ، **أى أنَّه حتى بالفرض الباطل [وهو وجود مهرب] فلا هروب البتة .**

ذلك الذي يعني أنَّ يوم القيامة لا هروب فيه ولا مهرب .أى أنَّ المشركين أيقنوا أشد ما يكون اليقين [عين اليقين] بألاَّ هروب البتة.

ذلك الذي عبَّر عنه القرآن الكريم بقوله [وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ] ، أى أنَّ فعل الظن يُفيد عين اليقين وليس مجرد العلم أو اليقين.

❋ [٦] قال الله تعالى :

﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا(٦) ﴾ الفتح

المفسرون أعادوا كتابة كلمة [الظَّانِّينَ] كما هى ، دون أى تأويل صريح لما تعنيه .

كلمة الظن الأولى [الظَّانِّينَ] : حسب ضابط ابن عمر للصيغة الفعلية ، فإنَّها تعني :الموقنين والمعتقدين .

كلمة الظن الثانية [ظَنَّ السَّوْءِ] : حسب ضابط ابن عمر فإنَّها تعني إعتقاد ويقين المضاف إليه ، أى إعتقاد السوء .

فتكون عبارة الظن [الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ] معناها : المعتقدين في الله تعالى إعتقاد السوء .

ولبيان ذلك ، قال الله تعالى عن المنافقين : ﴿ ....وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا(٦) ﴾ الفتح

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) ﴾ النساء

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) ﴾ التوبة

أى أنَّ الذين ظنوا بالله تعالى ظن السوء [وهم المنافقون] ، هم الذين :

جزاؤهم الخلود في نار جهنم ، عليهم لعنة الله تعالى ، هم في العذاب المقيم ، في الدرك الأسفل من النار ، عليهم غضب الله تعالى.

الذين جزاؤهم كل ما سبق من أنواع العذاب ، لابد وأن يكونوا قد أيقنوا أشد اليقين في ذات الله تعالى ، ما ليس بالحق .

أى أنَّ كلمة [الظَّانِّينَ] لابد وأن تعني الموقنين ، وذلك هو الذي يقول به ضابط ابن عمر الجنزوري .

ثالثاً : الصيغة الفعلية لكلمة الظن والغير متبوعة بمظنون ، وردت مرتان فقط .

إنَّ حذف المظنون به ، يُفيد الدلالة على أنَّ المظنون به هو الظَّنّ ذاته ، أى الباطل والضلال .

لذلك فإنَّ المعنى المراد من فعل الظن الغير متبوع بمظنون ، هو الإعتقاد واليقين بالباطل ، وكمثال لذلك :

❋ قال الله تعالى في سورة الجاثية :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) ﴾

أغلب المفسرين أوَّلوا العبارة القرآنية الكريمة [إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ] على أنَّها تعني التخيل والتوَّهم ، والشك والباطل .

الذين قالوا مقولة الكفر في (٢٤) الجاثية ، هم الذين بدأت السورة الكريمة وصفهم بقوله تعالى [ويلٌ لكلِ أفَّاكٍ أثيم] (٧) الجاثية

ومروراً بالآيات الكريمة بعدها حتى الآية الكريمة (٢٣) الجاثية ، والتي تمثل حالهم بالذي إتخذ إلهه هواه .

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

ثم إنَّهم أنكروا وجود أى حياة غير الحياة الدنيا ، مستعملين أسلوب التأكيد البلاغي ، فقالوا [مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا]

ثم إنَّهم من شدة إعتقادهم في الباطل يمكرون له ، وذلك بأن أنكروا أنَّ الله تعالى هو المميت ، فقالوا [وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ]

لينكروا قدرة الله تعالى على بعثهم بعد مماتهم ، ولايقعوا في حرج مخالفة ما يقول به المنطق ، من أنَّ الذي يُميت قادر على أن يُحي.

إنَّ مقولة الكفر [وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ] التي قالها كفار مكة ، لم يقل بها أى قوم من الأقوام السابقين مطلقاً ، مهما بلغ كفرهم .

إنَّ قول الله تعالى عنهم [وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ] يؤكد على أنَّهم في ضلال مبين ، والذي في ضلال لابد له من إعتقاد الباطل .

ثم ختم الله تعالى الآية الكريمة بعبارة موجزة شديدة الدلالة على إعتقادهم الجازم ويقينهم بالباطل . فقال تعالى [إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ]

وهذه العبارة القرآنية الكريمة ، بمفهوم ضابط ابن عمر تعني : ما هم إلاَّ يعتقدون الباطل والضلال .

وذلك التأويل هو الموافق تماماً لكل الآيات الكريمة قبل وبعد الآية الكريمة (٢٤) الجاثية .

أخي الكريم ، إنَّ تأويل المفسرين للعبارة القرآنية الكريمة [إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ] بأنَّها تعني التخيل والتوهم والشك .

وذلك رغم أنَّ ما قاله كفار مكة ، من الكفر والضلال [وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ] ، لم يسبقهم بهذه المقولة النكراء أحد من العالمين .

كما أنَّ سورة الجاثية إمتلأت بالآيات القرآنية الكريمة ، التي تصف هؤلاء الكفرة بأسوأ وأقبح ما يكون من أشد الناس ضلالاً .

كما أنَّ هذه الآيات الكريمة تحمل أقوى وأشد ما يكون الوعيد والإنذار لهؤلاء المستكبرين ، المستهزئين بآيات الله تعالى وبوعده .

ذلك المسلك من المفسرين جعلني لا أجد إلاَّ تعليلاً واحداً [والله تعالى وحده علاَّم الغيوب]، وهو أنَّهم ما فعلوا ذلك إلاَّ لأنَّهم يرون أنَّ الإعتقاد واليقين لا يكون إلاَّ للحق ، ولأنَّ الباطل لا حجَّة وليس بالواقع ، فإنَّهم يرون أنَّ الإعتقاد به ما هو إلاَّ شك وتوهم .

إذا كان ذلك كذلك [والله تعالى يعلم ، وأنا لاأعلم]، فإني أقول لهم إنَّ الواقع في هذه الحياة الدنيا ، يؤكد على أنَّ أهل الباطل يعتقدون في الباطل الذي هم عليه ، أى أنَّه ليس شرطاً في حصول وتحقق الإعتقاد واليقين ، أنْ يكون في سبيل الحق .

وإليك أخي الكريم الأدلة الآتية :

- [١] إنَّ الذين ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ ، كانوا على الباطل ، لكنهم أيقنوا به .

وإلاَّ لو لم يكن ذلك كذلك ، لما كانوا قاتلوا وقُتلوا في حرب ، نعلم جميعاً أنَّ القاتل والمقتول فيها ، يقول كل منهما لاإله إلاَّ الله .

- [٢] الخوارج الذين حاربوا سيدنا على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، كانوا موقنين بالباطل الذي هم عليه .
- [٣] الذين يُغالون في تطرفهم من الشيعة ، يوقنون بالباطل الذي هم عليه .
- [٤] جميع اليهود قديماً وحديثاً يوقنون بأنَّهم شعب الله المختار ، وأنَّهم وحدهم هم الناجون ولا أحد غيرهم .

وأنَّ ما عداهم من أصحاب الديانات الأخرى ، ليسوا على شئ . ورغم أنَّهم في كل ذلك مخطئون ، إلاَّ أنَّهم به موقنون .

- [٥] الملحدون في أضل الضلال ، وهم رغم ذلك يعتقدون أنَّهم العقلاء دون غيرهم من أصحاب الديانات جميعاً .

بل إنَّهم لا يكفون عن مهاجمة وسب جميع أصحاب المعتقدات السماوية (خاصة المسلمين) ، ويتهمونهم بأنَّهم لا عقل لهم .

والحقيقة ، أنّ الملحدين هم أسفل البشر جميعاً ، وأشد الخلق جهلاً وجهالةً ، لكنهم بالباطل الذي هم فيه موقنون !.

أخي الكريم ، ما سبق من الأدلة كان من واقع الحياة ، ورغم أنَّها أدلة ظاهرة إلاَّ أنَّ الإستدلال بالآيات القرآنية الكريمة هو الأولى مما عداه من الأدلة ، وإليك أخي الكريم ما يؤيد ذلك من الآيات القرآنية الكريمة :

- [٦] إنَّ يقين أهل الباطل بالضلال والبهتان الذي يدعون إليه ، قد يكون أحياناً أشد من يقين بعض أهل الحق .

لأنَّ أهل الحق : يجاهدون أنفسهم الأمّارة بالسوء ، ويجاهدون إبليس اللعين . ويُفتنون بفتن الدنيا ، وما أكثرها وما أشدها .
فالذي يثبت من أهل الحق على يقينه في ربه الكريم ، **هم القليل فقط** . لكن يقينهم يكون أعظم وأشد من الجبال الراسيات .

- [٧] أمَّا الكافر فإنّه ليس فقط يثبت على ضلاله ، بل إنَّه يزداد ضلالاً فوق الضلال ، قال الله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا (٧٥) ﴾ مريم .

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) ﴾ الزخرف .

ذلك من مكر الله تعالى بالذين علم أنَّهم لا خير فيهم . فهؤلاء لا يضعف يقينهم بالباطل ، بل إنَّهم يزدادون تمسكاً به وإصراراً عليه.

- [٨] قال الله تعالى :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) ﴾ النحل

أليس القسم بالله تعالى بالدليل القاطع على أنَّهم أيقنوا الباطل ؟

- [٩] قال الله تعالى (عن أصحاب الشمال) :

﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) ﴾ الواقعة .

أليس الإصرار بالدليل الظاهر على أنَّهم أيقنوا بالذي أقسموا عليه ، وهو الباطل والضلال

- [١٠] قال الله تعالى :

﴿ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) ﴾ الفرقان

لولا أنَّهم على يقين وإعتقاد جازم بما هم عليه من الباطل ، ما كانوا ليصبروا عليه .

- [١١] قال الله تعالى :

﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾ الروم

أليس فرح كل حزب بما لديهم [وما هو إلاَّ الباطل] ، بالدليل الظاهر على أنَّهم موقنين بالباطل الذي هم عليه .

- [١٢] قال الله تعالى في سورة العنكبوت :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢) ﴾

الآية الكريمة واضحة الدلالة على أنَّ أهل الباطل يؤمنون بالباطل الذي هم عليه .

- [١٣] قال الله تعالى : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٣٣) ﴾ الحجر

ليس هناك باطل أو ضلال أشد من ذلك الذي فيه إبليس اللعين .فقد أيقن بالباطل والضلال ، حتى أنَّه قال ﴿ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ ﴾ تلك المقولة النكراء تكتظ كفراً وعصياناً وإستكباراً ، أصر عليها إبليس اللعين ولم يتب ، رغم علمه بما أُعد له من عذاب السعير .

رابعاً : الصيغة الإسمية لكلمة الظن والمعرفة بالإضافة ، وردت [٩] مرات .

وهي تعني إعتقاد ويقين المضاف إليه .

- [١] قال الله تعالى :

﴿ وَذَٰلِكُمْ **ظَنُّكُمُ** الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ فصلت

إسم الظن المعرف بضمير المخاطب [**ظَنُّكُمُ**] يعني : إعتقادكم .

ونوع هذا الإعتقاد تُبينه عبارة فعل الظن [الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ] في نفس الآية الكريمة ، والذي يطابق فعل الظن في (٢٢) فصلت

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) ﴾ وهو قوله تعالى[وَلَٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ] . أى : ولكن إعتقدتم أنَّ الله تعالى لا يعلم كثيراً مما تعملون . بالطبع ذلك إعتقاد بالباطل ، فيكون معنى إسم الظن المعرف بضمير المخاطب [ظَنُّكُمُ] ، أى إعتقادكم الباطل .

❋ [٢] قال الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) ﴾ الصافات

الآية الكريمة (٨٦) هى إستفهام إنكاري من سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه ، يُراد منه تقريع المخاطبين وتوبيخهم .

ثم إنَّه في الآية الكريمة (٨٧) أعاد خطابه لهم بنفس الأسلوب ، لتأكيد التقريع السابق مع التهديد والوعيد بعاقبة إعتقادهم الباطل في شأن الله تعالى رب العالمين .

إنَّ التقريع من إبراهيم عليه السلام لقومه ، والوعيد لهم بسوء المصير في الآخرة ، يستلزم أنهم كانوا على يقين بالباطل الذي هم فيه. ذلك الذي يقتضي أنَّ كلمة [ظَنُّكُمُ]تعني إعتقادكم الباطل .

❋ [٣] قال الله تعالى :

﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا(١٠)﴾ الأحزاب

أغلب المفسرين لم يؤولوا صراحة معنى كلمة الظن ، وأعادوا ذكرها نصاً كما هى في تفسيرهم للآية الكريمة.

لكن بعضهم ذكر مقولة الإمام الحسن ، والتي تفيد :بأنَّ ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ : تعني ظنون مختلفة .

ظنَّ المنافقون أنَّ محمداً ﷺ وأصحابه يُستأصلون . وأيقن المؤمنون أنَّ ما وَعدَ الله تعالى ورسوله حق ، وأنه تعالى لا محالة ناصرهم .

أخي الكريم ، رغم أنَّ تأويل الإمام الحسن لعبارة الظن صادق تماماً [فهو أفضل ما قيل في كتب التفسير بهذا الخصوص] .

إلاَّ أنَّه عبَّر عن الظن في جانب المؤمنين باليقين ، وفي جانب المنافقين بالظن ، وذلك لأنَّ معظم المفسرين يميلون إلى تأويل الإعتقاد بأنَّه يعني اليقين إذا كان في الحق ، وإلى تأويل الإعتقاد بأنَّه يعني الظن إذا كان في الباطل ، وهم حينئذ يعنون بالظن ما دون اليقين.

أخي الكريم ، بعد أن منَّ الله تعالى علينا بضابط ابن عمر الجنزوري ، فلابد من تغيير بعض المفاهيم ، ومنها ما بيَّنته في التحليل الخاص بالآية الكريمة (٢٤) الجاثية بالأدلة من القرآن الكريم ومن واقع الحياة ، وهو أنَّ أهل الباطل يوقنون بالباطل الذي هم عليه .

ولزيادة التأكيد على ذلك فيما يخص موضوع الآية الكريمة (١٠) الأحزاب ، أقدم لك ياأخي الكريم الأدلة الآتية :

* قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) ﴾ **الأحزاب**

إنَّ إستعمال القرآن الكريم لصيغة الحصر ، يعطي الدلالة الظاهرة على :

أنَّ ما قاله المنافقون بألسنتهم من عبارة الكفر [مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا]، هو الذي أيقنوه في قلوبهم .

* قال الله تعالى ﴿ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ (١٥٤) آل عمران ، أى أنَّ ما في قلوب المنافقين أسوأ مما يُبدون .

ذلك الذي يؤكد على أنَّ المنافقين أيقنوا من الباطل ما هو أسوأ من الذي قالوه من عبارة الكفر [مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا].

* قال الله تعالى في الآية الكريمة (١٢) سورة الفتح .

﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾

علاوة على ظاهر المعنى للآية القرآنية الكريمة (١٢) الفتح ، فقد إستعمل القرآن الكريم عدد من المؤكدات اللغوية ظاهرة الدلالة مثل { بل ، لن ، أبدا }، وذلك للتأكيد على شدة يقين المنافقين بإنتفاء إنقلاب الرسول ﷺ ومن معه .

مما سبق نخلص إلى أنَّ ، المنافقين أيقنوا بالباطل أشد ما يكون اليقين .

أخي الكريم ، بعد هذه المقدمة ، نعرض لشرح وبيان مدلول عبارة الظن ، ولكن بعد التمهيد الآتي :

المسلمين كانوا فرقتين [المؤمنون ، المنافقون] ، ولأنَّ الإبتلاء كان عظيماً للغاية ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ .

فقد أظهرت الشدة حقيقة ما أخفته الصدور . فصارت كل فرقة من الفرقتين عدة طوائف .

[١]فرقة المؤمنين ، وقد بيَّن لنا القرآن الكريم منهم طائفتين :

❋ **طائفة المؤمنين صادقي الإيمان ، وهم الذين قال الله تعالى عنهم :**

﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ الأحزاب

❋ **الطائفة الأعلى يقيناً (صفوة المؤمنين) ، وهم الذين تأسوا برسول الله ﷺ : وهؤلاء الذين قال الله تعالى عنهم :**

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾ الأحزاب

[٢]فرقة المنافقين ، وقد بيَّنت الآيات الكريمة منهم طائفتين :

❋ **فمنهم من أظهر وأعلن نفاقه ، فتبجحوا وتعالت أصواتهم بمقولات السوء .**

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) ﴾ الأحزاب

❋ **ثم عامة المنافقين** ، وهم الذين قال الله تعالى عنهم :

﴿ ..... وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)﴾ الأحزاب

هذه الإعتقادات المختلفة والمتباينة عَبَّر عنها القرآن الكريم بعبارة واحدة ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ .

هذه العبارة البليغة أوجزت ما فصَّلته الآيات الكريمة في أكثر من عشر آيات كريمة [من (١١) وحتى (٢٣)] الأحزاب.

إنَّ ظاهر ومضمون اللفظ القرآني [وتظنون بالله الظنونا] واضح الدلالة على أنّ التعدد والتباين بين الفئات المختلفة من المسلمين .

ليس هو في المراد من فعل الظن [وتظنون] ، والذي يعني (وتعتقدون) .

وإنَّما التعدد والتباين يأتي من المراد من كلمة [الظنونا] ، والتي يُراد منها إجمالي الإعتقادات المختلفة والمتباينة .

والتي تشمل اليقين بالحق [أنَّ الله تعالى منجز وعده بنصر المؤمنين] ، واليقين بالباطل [أنَّ الإسلام مقضي عليه].

باستعمال ضابط ابن عمر الجنزوري ، والذي يُفيد :

أنَّ الصيغة الفعلية تعني اليقين والإعتقاد الجازم بالمظنون به ، أى أنَّ [وَتَظُنُّونَ] تعني : وتوقنون .

وأنَّ إسم الظن المعرف بالإضافة يعني إعتقاد المضاف إليه ، أى أنَّ كلمة [**الظُّنُونَا**] تعني الإعتقادات المختلفة .

فتكون الجملة القرآنية الكريمة ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ تعني: وتعتقدون في وعد الله تعالى الإعتقادات المتباينة .

فعلى سبيل البيان والدلالة فقط ، وليس على سبيل الحصر ، يصير لدينا الظنون الآتية :

(١)ظَنٌّ جماعة صفوة المؤمنين ، وهوأشد اليقين بوعد الله تعالى. **(٢)ظَنٌّ** عامة المؤمنين ، وهو اليقين بوعد الله تعالى .

(٣)ظَنٌّ عامة المنافقين ، وهو اليقين بأنَّ وعد الله تعالى غير واقع. **(٤)ظَنٌّ** الجماعة الأشد نفاقاً ، وهو أشد اليقين بهلاك المسلمين.

أى أنه ليس فقط المؤمنون وحدهم هم الذين أيقنوا واعتقدوا .بل إنَّ المنافقين كذلك إعتقدوا وأيقنوا .

المؤمنون بالطبع إعتقدوا الحق . أمَّا المنافقون فقد إعتقدوا الباطل [وهو أنَّ وعد الله تعالى ليس بواقع] .

خامساً : إسم المصدر للظن [ظنَّاً] ، وردت مرتان فقط .

وهى تعني أشد ما يكون الإعتقاد واليقين بالباطل ، وكمثال لذلك .

❋ قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) ﴾ الجاثية

إنقسم المفسرون في تأويل عبارة الظن إلى ثلاثة إتجاهات :

* بعضهم أوَّل عبارة الظن بأنَّها تعني الشك والتوهم ، ومنهم الإمام ابن كثير .

* وبعضهم لم يؤولها وأعادها كما هى ، وذلك دليل ظاهر على شدة الحيرة في تأويل عبارة الظن ،ومنهم الإمام القرطبي حيث قال :إن نظن إلاَّ ظنّاً تقديره عند المبرد: إن نحن إلاَّ نظن ظنّاً . وقيل : التقدير : إن نظن إلاَّ أنَّكم تظنون ظنّاً .

وقيل : أى : وقلتم إن نظن إلاَّ ظنّاً .

* ثم إنَّ الإمام ابن عاشور كان له رأى خاص ، حيث قال : ﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ ظاهر في أنه متصل بما قبله من قولهم : ﴿ ما ندري ما الساعة ﴾ ، ومُبين بما بعده من قوله : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ وموقعه ومعناه مُشكل ، وفي نظمه إشكال أيضاً.

أى أنَّ الإمام القرطبي والإمام ابن عاشور [وهما من أعلام علماء التفسير المشهود لهم] قد إستشعرا حرجاً في تأويل عبارة الظن .

أخي الكريم ، إنَّ الحيرة الظاهرة وعدم إطمئنان العلماء إلى تأويل صريح لعبارة الظن ، ما هو إلاَّ دليل قاطع وبرهان ظاهر على أنَّ مفهوم المفسرين للمعنى الإصطلاحي لفعل الظن [نَظُنُّ] وإسم المصدر [ظنّاً] ، ليس هو الذي يعنيه القرآن الكريم .

وأنَّهم لم يُفرقوا بين المعنى المراد من كل صيغة من صيغ الظن الخمسة .

لأنَّه لو لم يكن ذلك كذلك ، ما كان يوجد أبداً أى إشكال في فهم عبارة الظن ، وهى عبارة قرآنية كريمة ظاهرة المعنى واضحة الدلالة ، شأنها في ذلك شأن كل آيات القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الحكيم الذي يسَّره الله تعالى للذكر ، وقال الله تعالى عنه :

﴿ .....وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) ﴾ النحل

﴿.....وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾ النحل

أخي الكريم ، إنَّ الذين قالوا مقولة الكفر [مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ] في الآية الكريمة (٣٢) .

هم الذين قالوا مقولة الكفر في الآية الكريمة (٢٤) في نفس السورة الكريمة . وهم الذين إستهزؤا بوعد الله تعالى .

ثم إنَّهم من شدة إعتقادهم ويقينهم بألاَّ قيامة مطلقاً ، وأنَّ الساعة غير واقعة البتة ، أنَّهم قالوا [وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ] .

أرأيت كيف بلغ إستخفافهم بأمر الساعة !!! . حتى أنَّ مجرد التيقن من كونها تقع أو لا تقع ، يرونه سفهاً يترفَّعون عنه !!!

ذلك الكفر بلقاء الله تعالى ، والذي تعدى حد الفجور والطغيان ، عبَّر عنه القرآن الكريم بعبارة موجزة [إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا] .

أخي الكريم ، بمفهوم ضابط ابن عمر الجنزوري ، فإنَّ فعل الظن [نَظُنُّ] يعني : نعتقد ، وإسم المصدر [ظنًّا] يعني : أشد الإعتقاد واليقين بالباطل ، فيكون معنى عبارة الظن [إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا] أى : ما نعتقد إلاَّ أشد اليقين والإعتقاد في أنَّكم كاذبون في الذي تقولون . ذلك التأويل يُطابق تماماً المضمون والمعنى العام لجميع الآيات القرآنية الكريمة ، التي وردت في السورة الكريمة [الجاثية] .

ولقد بيَّنت بالتفصيل التعليق على أقوال المفسرين ، والذي بلغ عدد (١٦) صفحة من الكتاب ، ذلك لمن أراد المزيد .

أخي الكريم ، بعرض الضابط على عدد ليس بالقليل [عدد ١٧] من الأحاديث الشريفة في الصحيحين ، فوجدته يصدق عليها .

لكني لاأدعي أنَّه يصدق على جميع الأحاديث النبوية الشريفة ، لأنَّ ضابط ابن عمر الجنزوري ما كان إلاَّ إجابة كريمة من الله تعالى للدعاء بطلب الهداية إلى معرفة المعنى الإصطلاحي لكلمة الظن في القرآن الكريم فقط . وإليك أخي الكريم بعض الأمثلة من هذه الأحاديث الشريفة :

[١]باب الرقاق (٨١) : ٦٥٤٠ - قَالَ الأَعْمَشُ حَدَّثَنِي عَمْرٌو عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ « اتَّقُوا النَّارَ ». ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ، ثُمَّ قَالَ « اتَّقُوا النَّارَ » . ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلاَثًا ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .

إنَّ تكرار عبارة (ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ) ثلاث مرات ، بعد قوله ﷺ اتقوا النار ، وكذلك دلالة الحرف (حَتَّى) على بلوغ الغاية .

ما هي إلاَّ قرينة ظاهرة ودليل قاطع على أن الصحابة أيقنوا واعتقدوا تماماً أن النبي ﷺ ينظر إلى النار .

ذلك الذي يعني أنَّ فعل الظن [**ظَنَنَّا**] يفيد اليقين والإعتقاد .

[٢] باب فضائل الصحابة (٦٢) : ٣٦٥٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضى الله عنه . قَالَ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا .

فَقَالَ « مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا » .

بمنطوق ضابط ابن عمر الجنزوري . فإنَّ إسم الظن المعرف بالإضافة [ظَنُّكَ] يعني : إعتقادُك .

فتكون عبارة [مَا ظَنُّكَ] تعني : ما إعتقادك .

إنَّ مقولة الترقب والحذر من أبي بكر ، والتي يُغلفها الخوف الشديد من أن ينظر أحد مشركي مكة ، إلى ما تحت قدميه فيبصرهم .

ذلك الذي يقتضي من رسول الرحمة ﷺ أن يهدئ من روع أبا بكر بإستدعاء وإستحضار مافي قلبه من اليقين في قدرة الله تعالى وحفظه ، وأن يُدخل على قلبه ما يُزيد إطمئنانه ، في هذا الموقف شديد الحرج .

فإنتقى رسول الله ﷺ ، العبارة التي تدل على شدة وقوة اليقين ، الذي يُناسب معية الله تعالى لهما !.

فكان إنتقاء الرسول ﷺ لإسم الظن المعرف بالإضافة ، ليفيد هذا اليقين .

بهذا الحديث الشريف نكون قد أتممنا بفضل الله تعالى .

موجز كتاب ابن عمر الجنزوري ، والخاص بتحديد المعنى الإصطلاحي لكلمات الظن في القرآن الكريم ، تقبَّل الله تعالى منَّا ومنكم.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ(١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) ﴾ الصافات

الكاتب

بما أفاض الله تعالى عليه من فضله وإحسانه

مقدم مهندس بالمعاش / عبد الله مصطفى الجنزوري

البريد الإلكتروني : Elganzory.giza@hotmail.com

الموقع : http://alqawl-alsadeed.com

التليفون : ٠١٠٦٧٩٠٠٤٧١ - ٠١١٤١٧٣١٢٧١